

الحمد لله حمداً لا يئلى جديده، ولا يحمى عديده، ولا تُبلغ حدوده ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقاتلها عدة واقية، وإلى صالح العمل وسيلة راقية، وفي الآخرة ذخيرة باقية ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي شرح صدره ورفع ذكره ، وأسمى على الخلائق قدره، وتولى حفظه ورعايته ونصره، صلى الله عليه وعلى آله الشرفاء أعز عتره ، و أصحابه الحنفاء أسدوا المنة وسدوا الثغرة ، صلاةً وسلاماً متواصلين في كل أصيل مُكررين في كل بكرة.

أمّا بعدُ عباد الله: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فقد وعد الله المتقين بتكفير السيئات وإعظام الأجور؛ فقال سبحانه " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً " .

عباد الله: إنَّ من عجائب الخلق التي لا تُبليها الأيام ، ولا يغيرها تعاقبُ الأعوام خلق البحار الجارية على ظهر هذه المعمورة ، فالبحار العظيمة لها قوة سلطان إذا هاجت تدل على عظمة الله وقوته وقدرته وقهره وفيها برهان على وجود الله ويستلزم النظر إليها بالبصيرة انبعث الإيمان وزيادته ، وفي حديث القرآن عن البحار ثناء الله تعالى على نفسه بخلق البحار وما يلحقها من منافع البشر في المعاش ، قال الله تعالى (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) وفي حديث القرآن عن البحار تذكير بأن جنس الإنسان متميز عن سائر المخلوقات بركوب البحار (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ) وسواه من الخلائق لا يركب البحر إلا تبعاً له ، وفي القرآن أن هذه السفن والناقلات التي تقطع البحار عرضاً وطولاً هي آية من آيات الله فلولا ما في الماء من قوة تقدر على حمل هذه الأثقال الهائلة ولولا ما سخره الله من الرياح المعتدلة التي لا تتوقف فتسكن بانعدامها حركة السفن ولا تشتد فتغرق السفن بما فيها ، لكنّها رياح متوسطة في الغالب جارية على وجه يمكن الإنسان من تصريف هذه السفينة إلى أي جانب شاء وأراد ، وذلكم قول الله تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوقَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) ، بل يبين الله تعالى في كتابه أن العلة التي أهم لأجلها الخلق مواجهة العواصف الهوج وهيجان الموج وما يتخذونه من تدابير واحتياطات كل ذلك من أجل إظهار عظمة الله وقدرته ، وذلكم قول الله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ) والمعنى : أن جري السفن في البحار فيه حكم كثيرة مقصودة من تسخيره ، ومن ذلك أن تكون آية للناس على وجود الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ، ولعظمة هذا التسخير أقسم الله بالسفن الجارية فقال (فالجاريات يُسراً) يعني السفن التي تجري في البحر جرياً ذا يسر وسهولة ، بل إن القرآن الكريم جعل من آيات الله تعالى وجودنا نحن من أصلاب رجال نجوا مع نوح يوم الغرق الذي عم الأرض ، فلولا السفن مسخرةً بقدره الله لما كان لنا وجود ، وذلك قول الله تعالى (وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ) والمقصود بالذرية في الآية الآباء.

وفي حديث القرآن عن البحار امتناناً من الله تعالى يتعلق بالمطاعم إذ جعل الله مخلوقات البحر حلالاً طيباً وإن كان ميتة ، قال الله تعالى (أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ) ، ويقول سبحانه (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) ويقول رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ الْجِلُّ مَيْتَتُهُ ».

وكذلك امتن الله تعالى على الخلق بما يستخرجونه من اليواقيت والدرّ المكنون في جوف الصدف حليّة وزينة يتجملون بها ويتأجرون وينكحون فقال (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) ، وقال سبحانه (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤلؤُ والمرجانُ فيآي آلاءِ ربِّكمَا تُكذِّبان).

وامتن الله تعالى على الخلق بركوب البحر مع الأمن على الأنفس فقال (وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ) ، ويبيّن أنّ السلامة في البحار كلّها إنما هي محض تفضل ورعاية من الله تعالى للراكين فقال (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ).

وامتن الله تعالى على الخلائق بما يلحق البحار ومجاورتها من منافع لا يحصيها غير الله فقال (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) ويشمل ذلك تجارات التنقل والسياحة والغوص وما يضاف إلى ذلك من أوجه الاستنفاع بالبحار ثمّ حضّ الله تعالى على شكر هذه النعم فقال (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يعني إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم من هذه البحار ومنافعها فلتشكروا خالقها وتطيعوه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا.

عباد الله: إنّ حديث القرآن عن البحر يؤكّد لكل ذي قلب سليم أنّ هذه الأمواج المتلاطمة المظلمة العظيمة التي تهاجم الهيبة وتستفزّ الغزع وتنبئ التوحيد في قلوب الكفرة والمشرّكين ليست في حقيقتها إلا مخلوقاً ضعيفاً أمام قدرة الله ، فالبحار لله وباللّٰه ما فيها حركة أو سكون إلا بأمره ، ولا تحتوي قيعانها شيئاً إلا وهو في علمه (يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) ، ويؤكّد القرآن في الحديث عن البحار أنّ المشرّكين يخافون خلق الله أكثر مما يخافون الخالق العظيم ذاته (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَحَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) ولا عجب فهم يخادعون الله وهو خادعهم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، وفي حديث القرآن عن البحار أثنى الله على نفسه في القرآن وهو يخاطب عموم الناس الذين ينجيهم من هول العواصف والأمواج فقال (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَحَرَينَ بِهِمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بَغَيْرِ الْحَقِّ) ، ولا عجب فهذه حال الإنسان إلا من زكاه الله تعالى القائل في محكم كتابه (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) قال الله تعالى وصف هذا النوع من البشر (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرٍّْ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وكل من يخاف الله عند الشدائد وتحليق الطائرات وهيجان الموج وحلول الكوارث والقوارع ثمّ ينكص على عقبيه عند الرخاء عصياناً وجموداً هو مقتسم

ميراث فرعون الذي أفزعهُ البحرُ ومرأهُ (حتى إذا أدركهُ العرقُ قالَ أمنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي أمنتُ بِهِ بنو إِسْرَائِيلَ وَأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

وفي حديثِ القرآنِ عن البحارِ تذكيرٌ بأنَّ هذه المياهُ التي تغطي أكثر من ثلثي الأرضِ لو كانت ضعفينِ ولو استحالت حِبراً نُكْتُبُ بِهَا آياتُ اللَّهِ وَحِكْمُهُ وَبِراهِينُهُ وَأحكامُهُ وشرائعهُ لنفدَ هذا الماءُ ولم يأتِ على جميعِ كلماتِ اللَّهِ ، وذلكم قوله سبحانه (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لِكَلِماتِ رَبِّي لَنفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئنا بِمِثْلِهِ مِدادًا) وهذا يؤكِّدُ لكلِّ مُغتَرِّ بعلمه الشرعي أو التجريبي التطبيقية قاعدة قرآنية تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً).

عباد الله: إنَّ من عجائبِ حديثِ القرآنِ عن البحارِ قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) وهذا تصويرٌ لمعجزةٍ مُشاهِدةٍ وهي اجتماعُ الماءِ المالحِ مع الماءِ العذبِ دونَ تأثرِ أحدهما بمجاوره ، كما قال الله تعالى (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرزَخٌ لا يَبْغِيانِ) أي لا يبغي أحدهما على الآخر فيمتزج به، فسيحان من جعل الأرض قراراً وجعل خِلالَها أنهاراً وجعل لها رواسيَ وجعل بينَ البحرينِ حاجزاً.

إنَّ هذه البحارَ التي نقصدها ونراها ، ونركبها ونغشاها جنودٌ طائعةٌ لله تعالى تحبُّ الطاعةَ والمطيعين وتبغضُ البغاةَ والظلمةَ والكافرينَ ولا تنتظرُ إلا أمرَ اللَّهِ تعالى فتهلك وتُبيد وتُغرق ، ولا تنتظرُ إلا أمرَ اللَّهِ لتخرقَ عادةَ الناظرينَ إليها فتفتحَ طرقاً وفجاجاً ومسالكَ بريَّةً آمنةً، قال الله تعالى (وَلَقَدْ أَوْحينا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاصْرِبْ لَهُمُ طريقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَحْشَى * فَأَتبعَهُمُ فرعونُ بِجُنودِهِ فَعَشِيَهُمُ مِنَ اليمِّ ما غَشِيَهُمُ) فموسى عليه السلامُ حينَ وقفَ على البحرِ (قالَ أصحابُ موسى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) ، ذلكَ أنَّ البحرَ أمامهم ، وفرعونُ وراءهم، فعندئذٍ أوحى اللهُ إليه أن يضربه بعصاهُ ففعلَ وقال: "انفلق ياذن الله" (فانفلق فكان كلُّ فرقةٍ كالطودِ العظيمِ) أي: صارَ فيه اثنا عشر طريقاً ووقف الماءُ ساكناً كالجبلِ العظيمِ.

عباد الله لقد ثبتت السنةُ بأنَّ هذه البحارَ كانت عوناً من الله تعالى لبعضِ الصالحينِ الأوفياءِ من عباده فاتخذوا البحرَ رسولاً يؤدي الأماناتِ ففي الصحيحِ عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه : عن النبي صلى اللهُ عليه و سلم (أن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل بأن يسلفه ألف دينار فقال ائمتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فأئتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فدفعها إليه فخرج في البحر فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار فرمى بها في البحر فخرج الرجل الذي كان أسلفه فإذا بالخشبة فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال وصحيفةً فيها رسالةٌ اعتذارٍ إليه بعدم وجود المركب) ، وفي الصحيح أن أولَ عُزاةٍ من

المسلمين يركبون البحر مستوجبون دخول الجنة فعن أم حرام رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (أول جيش من أمي يغزون البحر قد أوجبوا) يعني: أوجبوا لأنفسهم دخول الجنة بجهادهم في سبيل الله تعالى. قالت أم حرام قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال (أنت فيهم).

عباد الله: إن الأمة بأسرها كقوم يركبون سفينة ، ولا بُدَّ لهذه السفينة من قيادة آمنة وأنظمة سلامة تضمن النجاة من أهوال البحر وظلماته فعن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا . فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا » فهذا الحديث في دلالته كقوله تعالى (واتقوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) ، ومعناه أن الناس إن لم يأمروا بالمعروف ، ولم ينهوا عن المنكر وأدهنوا وجاملوا واستنجعوا عند رؤية المناكر ، فإنَّ الله يعمهم بعذاب من عنده ، وهذا يؤكد ضرورة تعلم فقه الإنكار وأحكامه الشرعية ، وبيان خطورة محاربة الهيئات التي وضعتها هذه الدولة لإحياء هذه الشعيرة العظيمة إنجاءً للبلاد والعباد من عاقبة السكوت واعتياد رؤية المناكر والجرائر ، فنسأل الله أن يدم بلادنا قلعةً حاميةً للدين وموئلاً للبررة والصالحين ويهتك أستار المتربصين بها الدوائر إنه لا يصلح عمل المفسدين .